

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[283] "إلا أن هؤلاء غفلوا عن هذه الحقيقة، وهي أن حساب الله لا علاقة له بالعباد، فإن تعالى - من أجل توجيه الإنسان - يقسم بآيات "الآفاق" و "الأنفس" ودلائل قدرته في الأرض والسماء، وذلك لكي يتفكّر الإنسان بتلك الآيات، وعن طريقها يعرف ربّه. وجدير بالذكر أن بعض آيات القرآن المجيد، ومنها آيات سورة الشمس تقسم بموجودات الكون إلى جانب القسم بذات الله المقدّسة، إذن فالتقدير هنا غير سديد، إذ يقول القرآن الكريم: (والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سوّاها) (1). على أيّة حال، فإنّ ظاهر الآيات - محلّ البحث - يدلّ على أن المجموعات الثلاث هي المقسم بها، وتقدير الشيء هنا خلاف للظاهر، ولا يمكن قبوله بغير دليل. الآن نرى ما هو المراد من هذه الأقسام المفعمّة بالمعاني، أي القسم بالملائكة والإنس؟ الآية التالية توضّح ذلك وتقول: (إنّ إلهكم لواحد). قسم بتلك المقدّسات التي ذكرناها فإنّ الأصنام ستزول وتدمّر، وإنّّه ليس هناك من شريك ولا شبه ولا نظير سبحانه وتعالى. ثمّ يضيف (ربّ السماوات والأرض وما بينهما وربّ المشارق). وهنا طرح سؤالين: 1 - ما هي الضرورة لذكر "المشارق" بعد ذكر السماوات والأرض وما بينهما، رغم أنّ المشارق هي جزء منهما. ويتّضح الجواب من خلال الالتفات إلى هذه النقطة وهي: إنّ المراد من "المشارق" هو الإشارة إلى مواقع شروق الشمس في أيّام السنة، أو إلى مشارق

1 - سورة الشمس، الآيات 5 - 7.